



المدينة العربية واثـر المناخ على تخطيطها وعمـرانا

م. د. رفل ابراهيم طالب

كلية التربية للنبات/ قسم الجغرافية

المخلص:

تؤدي عناصر المناخ الرئيسة دوراً مهماً في إختيار مواقع المدن وتحديد شكلها وتخطيطها وتصاميم أبنيتها ، وتجلي ذلك واضحاً في المدن العربية الإسلامية التي رفدتنا بكنوز معمارية تغنيا في هذا الجانب .

فقد أملت طبيعة المناخ القاسية للمنطقة العربية عموماً وسمته الأساسية كونه حار - جاف أغلب فترات العام على المعمار العربي أن يكون بمستوى هذا التحدي فكانت إستجابته مميزة بإستنباط الحلول والمعالجات لمواجهة هذه التحديات ، وكان ذلك يتم على كل مستويات التخطيط والتصميم وصولاً للإستفادة من أدق التفاصيل المعمارية التي يشتمل عليها المبنى .

ولايزال هذا التحدي المناخي هو العنوان الأبرز في التصميم المعاصر للمدن العربية الحديثة رغم التقدم التكنولوجي وتطور وسائل التكييف المركزية ، إذ باتت مسألة الإستفادة من تلك الحلول والمعالجات أمراً غاية في الأهمية من النواحي البيئية والإقتصادية والإعتبارية .

لذا فإن دراسة تخطيط وعمارة المدن العربية الإسلامية من زاوية نظر جغرافية - بيئية تأخذ بنظر الإعتبار العوامل المناخية المؤثرة على تخطيط وتصميم المدن ، والدعوة الى أن يكون لحضور الجغرافي في كل مراحل تخطيط وتصميم مدننا العربية المعاصرة ... هو الهدف الذي ينشده هذا البحث وتدعو اليه لخلق بيئة عمرانية حديثة تستجيب لمظاهر التطور الحديث والنقدم



التكنولوجي وتعكس في عين الوقت الفكر المعماري الخلاق الذي أمدتنا به عمارة مدنا العربية الإسلامية .

أهمية البحث :-

تكمن أهمية البحث لما تمثله المدن العربية الإسلامية من أهمية في موروثنا الحضاري وما تمدنا به من حلول ومعالجات (وخاصة في الجانب المناخي) من الممكن الإستفادة منها في عمارة مدنا العربية المعاصرة ، وتؤكد الدراسة أهمية المزوجة والموائمة بين الدراسات الجغرافية (وخاصة الدراسات المناخية) وبين عملية تخطيط وتصميم المدن .

مشكلة البحث :-

تتمثل مشكلة البحث بالإجابة على الأسئلة الآتية :

- 1- ماهي العناصر المناخية المؤثرة على إختيار موقع وتخطيط وتصميم المدينة العربية .
- 2- هل أثرت هذه العناصر على إختيار موقع وشكل وتصميم المدن العربية القديمة وخاصة المدن العربية الإسلامية .
- 3- ماهي الحلول والمعالجات التخطيطية والتصميمية التي تم اللجوء إليها للتغلب على هذه العوامل المناخية والحد منها .

فرضية البحث :-

يفترض البحث أن هناك عدة عوامل تؤثر في إختيار موقع وشكل وتخطيط وتصميم المدينة العربية الإسلامية وأهم هذه العوامل هي العامل المناخي ، وتحاول الدراسة التحقق من ذلك ومن المعالجات والحلول التي لجأ إليها المعمار العربي المسلم ، وكيفية الإستفادة منها في تخطيط وتصميم المدن العربية المعاصرة .



منهجية البحث :-

إتبعـت الباحثة المنهج الوصفي والتحليلي في جمع الحقائق والبيانات عن ظاهرة أو موقع معين لتحديد خصائص الظاهرة تحديداً كمياً وكيفياً وبالاعتماد على المصادر المتوفرة .

حدود منطقة الدراسة :-

شملت حدود البحث المدن العربية القديمة والإسلامية والمعاصرة ، وركز البحث على المدينة العربية الإسلامية بدراستها والتعرف على الحلول والمعالجات المناخية الملائمة التي تم اللجوء إليها .

هيكلية البحث :-

إشتمل البحث على ثلاثة محاور هي :

- الاول : المدينة العربية الإسلامية : نشوءها ، هيكليتها .
- الثاني : عناصر المناخ وتأثيرها على شكل وتصميم المدينة العربية .
- الثالث : الحلول والمعالجات للحد من تأثير العناصر المناخية على شكل المدينة العربية .

اولاً:- نشوء المدينة العربية الإسلامية :-

يعد العامل الديني عاملاً أساسياً في نشوء وتطور الكثير من المدن عبر التاريخ وهناك علاقة قديمة بين الدين والمجتمعات الحضرية ، فالدين بطبيعته عملية جمعية يدعو الى الأستقرار والتحضر .

ولقد كان لظهور الإسلام أثراً كبيراً في تأريخ نشوء المدن في العالم الإسلامي وفي تطورها وتركيب هيكلها الحضري بكل عناصره (1) ، فغدت المدينة المثالية وفق المنظور الإسلامي هي المدينة التي تحقق خدمة الخالق عز وجل . أن المدينة العربية الإسلامية هي أنعكاس لنظام عقائدي وأجتماعي



وتقافي لاينحصر في حياة المجموعة المعنية فحسب بل هو يتعداها ليؤثر في تخطيط المدينة نفسها (2) ، ونظرة الى صورة جوية لمدينة عربية اسلامية تعطينا شعور بتلاحم مفرداتها وتكاملها مكونة لغة تصميمية رائعة وكلوحة فيها السالب والموجب (الفضاء والكتلة) في كيان متكامل عضوي فريد (3) .

1.1.انواع المدن العربية الاسلامية.

تصنف المدن العربية الإسلامية الى عدة أنواع (4) هي :

1- **مدن ذات تخطيط مسبق** : وهي مدن نشأت بفعل أرادة المسلمين فهي وليدة الممارسة والأختيار (5) لذلك أتصفت بكونها مدن ذات تخطيط هندسي واضح ، وقد سميت بـ (الأمصار) ، وهي أما مدن نشأت كمراكز لتجمع جيوش الفتوحات الإسلامية مثل الكوفة والفسطاط ، أو مدن حصينة مثل الرباط ، أو مدن سياسية مثل مدينة بغداد المدورة أو مدن أميرية مثل سامراء (6) .

2- **مدن تلقائية** : وهي مدن نشأت وتطورت بشكل عضوي ودون تخطيط من سلطة حكومية .

3- **مدن تراكمية** : وهي مدن قائمة دخلها الأسلام وتطورت مع الزمن .

1.2-هيكلية المدينة العربية الاسلامية.

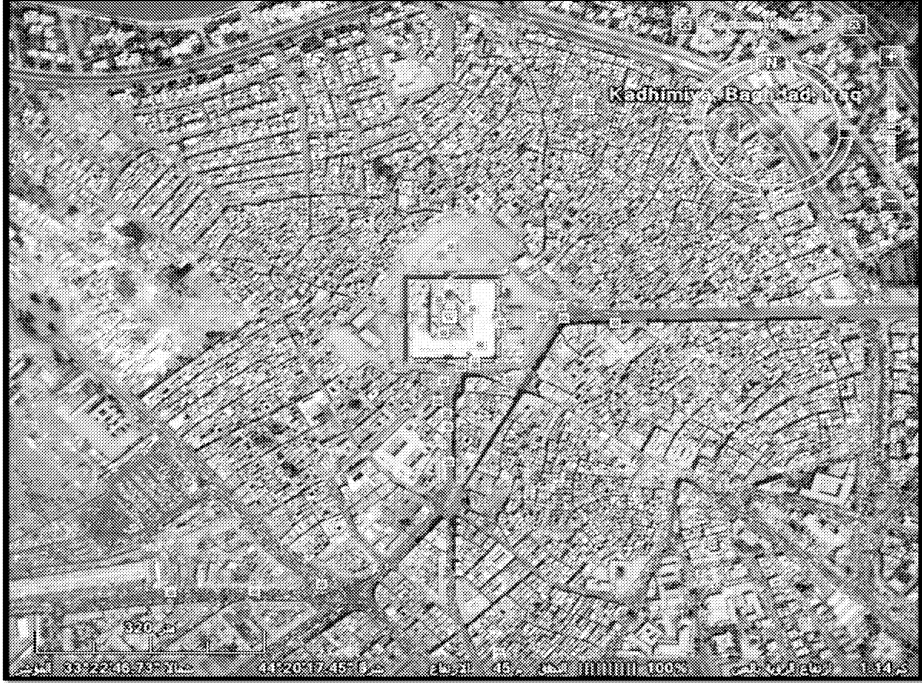
تتألف المدينة العربية الإسلامية من المكونات الأساسية التالية :

1- **قلب المدينة** : تتكون المنطقة المركزية للمدينة العربية الإسلامية من نسيج كثيف للفعاليات الدينية ، التجارية ، الإدارية ، الاجتماعية . حيث يحتل المسجد الجامع على الأغلب موقعاً مركزياً واضحاً في قلب المدينة وذلك عند نقطة التقاء الطرق الرئيسية لها (7) ، (صورة 1) وتكون المنطقة المحيطة به ذا كثافة عالية وأرتفاع واطئ للإنبئية ، ثم تتناقص الكثافة وقد ترتفع الأبنية



بصورة تدريجية كلما أبتعدنا عن المركز بحيث تعزز أهمية وهيمنة المركز (8) .

صورة (1) صورة جوية لمدينة الكاظمية المقدسة تظهر المنطقة المركزية للمدينة وموقع المسجد الجامع في وسطها.



ويتكون قلب المدينة العربية الإسلامية من العناصر الآتية:

أ- **المسجد الجامع** : يمثل المسجد الجامع في كثير من الأحيان مركز ثقل المدينة ويتوسطها جغرافياً (صورة 2) ، وتنتشر حوله المباني السكنية وهو يؤمن للناس مكاناً لأداء النشاطات الضرورية الروحية والدينية والثقافية والاجتماعية ، عن طريق الفناء المفتوح داخل هذا المسجد ، فضلاً عن ما يوفره من أحياءات من خلال مآذنته التي ترمز رأسياً وبصرياً الى أهميته ومركزيته ضمن النسيج العمراني المحيط .



صورة (2) مرقد الكاظمية المقدسة وهيمنة بصريا على المشهد العام للمدينة



ب - الأسواق : تعد الأسواق العنصر الأكثر أهمية في المدينة العربية الإسلامية بعد الجامع لذلك تعد مدخلا هاما في تخطيط المناطق التجارية وكأحد العناصر المهمة لربط المدينة العربية المعاصرة بتراثها الحضاري العريق . وأن وجودها لم يكن مقتصرأ على المركز بل كان للمدينة أسواق تمتد من المركز حتى المناطق السكنية بشكل مترابط وبنظام متدرج (9) .

وكان بعض الأسواق موسمية والبعض الآخر عبارة عن شوارع ذات نشاط تجاري ثابت تمتاز بكونها أعتراضية لحركة المشاة وذات مقياس أنساني مناسب وحماية مناخية تسهل عملية التسوق مع وجود الفناءات الداخلية في الخانات وبساطة في المعالجات المعمارية وخاصة الأستمرارية والنمو العضوي(10).

ج - الساحات العامة : كادت الساحات العامة في المدن العربية الإسلامية أن تندثر بشكلها المعروف في غيرها من المدن وذلك لقيام صحن الجامع بوظيفتها ، ومع ظهور قصور الحكام أخذت وظيفة الفناء الداخلي للمسجد الجامع تقل وبرزت أهمية الساحة التي غالبا ماترتبط بقصر الحاكم ، ووجدت كذلك بعض الساحات الصغيرة في الأزقة والتي سميت بـ (الرحبة أو



الفضوة) والتي حققت فضلاً عن وظيفتها الاجتماعية ثراءً بصرياً وتنوعاً في المناظر، فضلاً عن وظيفتها البيئية بتحريك الهواء داخل تلك الأزقة (11).

2 - المحلة السكنية : عكست المحلة السكنية في المدينة العربية الإسلامية طبيعة الانتماءات القبلية ، وكان لكل محلة مسجدها الخاص للصلاة اليومية ، وأطلق مصطلح (الريض) على الأحياء التي تقع خارج مركز المدينة كما في مدينة تونس القديمة إذ أن هناك الريض الشمالي والريض الجنوبي . وفي المحلة التقليدية يلاحظ التدرج في توزيع الفضاءات المفتوحة ابتداءً من فناء الدار وخصوصيته العالية وحتى الفضاء الرئيس الذي يمثله على الأغلب صحن الجامع أو المسجد (12) .

3- طرق النقل : أن أنظمة الحركة في المدينة العربية الإسلامية يجب أن تشاهد ضمن المدينة ككل إذ تشكل شبكة الطرق والمسالك المترابطة والتواءاتها وأنحرفاتها مشهداً بصرياً تتحرك خلاله عين الناظر عند التنقل في دروبها وأزقتها مما يعطي مشاهد متغيرة وعنصراً بصرياً مختلفاً عن سابقه (13) . وتتكون منظومة الطرق هذه من :

أ- **شبكة الطرق العامة :** وهي على ثلاثة مستويات هي :

- **المستوى الأول :** وهي الطرق الرئيسية وتمثل العمود الفقري لنظام الحركة في المدينة.

- **المستوى الثاني :** وهي الطرق المحلية الرئيسية وترتبط بين شوارع المستوى الأول .

- **المستوى الثالث :** وهي الطرق الثانوية في المحلة والتي تحقق بدورها محاور ربط للمناطق ضمن المحلة الواحدة (14) .



ب- الشوارع ذات النهايات المغلقة : وتقسـم الى قسمين هما :

- 1- شوارع مخططة بقرار مسبق .
- 2- شوارع تظهر عبر الزمن .

ثانيا: تأثير عناصر المناخ على تخطيط وتصميم المدينة.

تؤدي عناصر المناخ دوراً رئيساً في اختيار موقع وشكل وتصميم المدينة ، وكلما زادت هذه العوامل قساوة كان تأثيرها أكبر في اتخاذ القرارات التصميمية ، ورغم أختلاف حدة هذه العناصر من مكان الى آخر فأنها تبقى الشغل الشاغل للمصمم والمخطط في كل مراحل إنشاء المدينة أو توسيعها أو تطويرها .

وأن العوامل الطبيعية المختلفة تؤثر بدرجة كبيرة على تحديد مواصفات المناخ الناتج منها (جدول 1) ، وبالتالي تقرر مدى صلاحية الموقع لأستخدام معين .

جدول (1)

العوامل المسيطرة على عناصر المناخ المختلفة والتي تؤدي الى تباين أنواع المناخ

أنواع المناخ المختلفة		عناصر المناخ	العوامل المسيطرة في عناصر المناخ
تباين المناخ	وتؤدي الى تباينها	الحرارة Temperature	الموقع بالنسبة لدوائر العرض (و يحدد جزئياً كمية الإشعاع الشمسي الساقط ومديات درجات الحرارة)
		الضغط الجوي Ambient pressure	الموقع بالنسبة لليابس و الماء الارتفاع عن مستوى سطح البحر
		الرياح Wind	الكتل الهوائية الحواجز الجبلية التيارات البحرية الرياح السائدة
		الرطوبة النسبية Humidity	التضاريس المحلية (أي طبوغرافية المنطقة التي تميزها عن المناطق المجاورة وتحدد مناخها الموقعي)

المصدر.: المصدر : سحر نافع شاكر ، جيورمورفولوجية الكثبان الرملية للمنطقة المحصورة بين الكوت - الديوانية - الناصرية ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، قسم علم الأرض ، كلية العلوم ، جامعة بغداد ، 1985 ، ص12

